الحرب الروسية–الاوكرانية والتوظيف الواقعي لدول الاغلبية العالمية في إنهاء الهيمنة الغربية على النظام الدولي

دكتور عوض سليمية
باحث في العلاقات الدولية
مدير وحدة الدراسات الدولية- معهد فلسطين لابحاث الامن القومي

الملخص

في هذه الورقة يحاول الباحث الاجابة على السؤال الرئيس التالي: هل ستوظف دول الاغلبية العالمية المتضررة من سياسات الدول الغربية، الفرصة المتاحة التي انتجتها العملية العسكرية الروسية في اوكرانيا حتى الان، في الدفع بإتجاه إعادة هندسة الخارطة الجيوسياسية نحو عالم متعدد الاقطاب و/أو متعدد الاطراف على الساحة الدولية، بعيداً عن سياسة القطب الواحد. من خلال رصد وتوثيق المواقف والتصريحات الصادرة عن قادة الغرب الجماعي والتي تشير الى اتساع الفجوة في المواقف مع الادارة الامريكية، على ضوء شبح الازمة الاقتصادية التي تدفع ببلدانهم على اعتاب الانتحار، وسط حالة من عدم اليقين بالسياسة الامريكية، حيث تحاول واشنطن إعادة إنتاج الأزمة الأوكرانية في منطقة الشرق الاوسط بالتحضير لعدوان عسكري ضد طهران. وفي منطقة آسيا والمحيط الهادئ عبر استراتيجيتها المعلنة احتواء الصين، ومنع عودة تايوان للبر الصيني. في الوقت نفسه، يلوح نووي كوريا الشمالية في الافق. الى جانب إستمرار كل من موسكو وبكين، جنباً الى جنب مع عدد من التحالفات السياسية والتكتلات الاقتصادية الفاعلة على الساحة الدولية بما فيها، تحالف اوبك+، منظمة شنجهاي للتعاون، مجموعة بريكس ومجموعة رابطة الدول المستقلة في تعزيز تعاونهما المشترك على مبدأ المنفعة المتبادلة، والدعوة الى ضرورة إعادة تفعيل هيئات الامم المتحدة وقوانينها الناظمة للعلاقات الدولية.

المقدمـــة

يرى لورانس فريدمان، ان جوهر النظام العالمي الجديد، يجب ان يتمثل في تعزيز فاعلية وتأثير الامم المتحدة ومؤسساتها كممثل وحيد لدول العالم وشعوبها، لتقوم بإدارة العالم إنطلاقاً من مسؤولياتها تجاه هذا التمثيل، بحيث لا تسيطر عليها قوة بعينها، بمعنى آخر اختفاء سيطرة الدول العظمى ووجودها على قمة الهرم في النظام العالمي الجديد، لتحل محله الامم المتحدة. وهذا يعني، استبدال النظام الامريكي الجديد بكامله. ويتفق في وجهة النظر هذه المفكر جوزيف ناي، الذي يرى، ان منتج النظام العالمي الجديد يجب ان يكون التوزيع المستقر للقوة بين القوى الكبرى، والنظر الى العلاقات بين الشعوب وليس الحكومات فقط، وانتشار القيم، مثل الديموقراطية وحقوق الانسان وتطبيق القانون الدولي وتفعيل المؤسسات الدولية بما فيها منظمات الامم المتحدة.

في كتابه "عندما يسقط العمالقة" – خارطة طريق لنهاية العهد الامريكي. يقول مايكل باينزنر، إن مسألة قبول التغيير في العالم تحظى بإقرار لدى جميع البشر ويستطيعون التأقلم معها، بإستثناء البعض، فلو سألت الشعب الامريكي، مثلاً، كيف يمكن لحياتهم ان تتبدل إذا لم تعد الولايات المتحدة القائد العسكري أو/والسياسي، الاقتصادي، الثقافي الاول في العالم، لنظر الكثير منهم اليك في دهشة، كما لو كنت مخلوقاً ذو رأسين. مع أن التاريخ علمنا أن الامبراطوريات تأتي وتذهب، وان الولايات المتحدة لن تكون استثناءً عن العهد القديم، فكثير من الادلة تشير الى ان ايام الولايات المتحدة باعتبارها زعيماً للهيمنة باتت معدودة. في السياق، يظهر آخر استطلاع رأي نشرته Responsible Statecraft بتاريخ 2Dec. 2022، لصالح موقع Morning Consult أن هناك دعم عام كبير لتقليص التواجد العسكري الأمريكي خارج حدود أمريكا والكف عن التطفل في شؤون الدول الاخرى. وفقاً للنتائج يقول ما نسبته 48% من الجمهوريين إن الولايات المتحدة يجب أن تخفض تدخلاتها في الشؤون الداخلية للدول، ووافق على ذلك حوالي 30% من الديمقراطيين المستطلعة آرائهم. وتشير النتائج إلى إحتمالية ان تكون هناك كتلة تصويت كبيرة من شأنها أن تكون منفتحة على سياسات أقل تدخلاً والابتعاد عن استخدام سياسات فرض العقوبات على البلدان الأخرى.

منهجية البحث

يستخدم الباحث اسلوب المنهج الوصفي التحليلي للاجابة على سؤال الدراسة، من خلال محاولات الوصول، الى ما تم نشره وتوثيقه من ادبيات، دراسات، تحليلات سياسية، تصريحات لقادة سياسيين، قرارات ومواقف الدول والتكتلات ذات الوزن الاقتصادي العابر للحدود، ومراقبة حالة الاصطفافات السياسية الجديدة للدول والتي بدأت تظهر داخل اروقة الجمعية العامة للامم المتحدة،

مفهوم الهيمنة

إستخدم المفكر الايطالي انطونيو غرامشي مصطلح "الهيمنة" بمفهومها الشامل عام 1971 لتوضيح كيفية قيام الدولة الرأسمالية بالتأثير على المجتمع المدني للحفاظ على امتيازات الطبقة الرأسمالية. وقبول الطبقة البرجوازية الحاكمة في الحياة الثقافية من خلال الاعلام حيث يتم تشكيل الافكار والمعتقدات، وإعادة إنتاج الهيمنة. وكان أحد التطبيقات الأكثر شمولاً لمفهوم غرامشي للهيمنة هو تحليل العلاقات الدولية والاقتصاد السياسي الدولي، عبر ما يسمى المادية التاريخية العابرة للحدود. في تحليل العلاقات الدولية المتمحور حول الدولة، تشير الهيمنة إلى وجود دولة أو مجموعة دول مهيمنة داخل النظام الدولي. وفي فرع التحليل الواقعي المعروف باسم نظرية الاستقرار المهيمن، فإن وجود دولة مهيمنة (على سبيل المثال، بريطانيا في القرن التاسع عشر والولايات المتحدة بعد عام 1945) يولد أنماطًا من الاستقرار داخل النظام الدولي. وأن لدى الدولة المهيمنة مصلحة ذاتية في الحفاظ على النظام القائم، وبالتالي فهي مستعدة لضمان أمن النظام بقوتها العسكرية.

وقد إختلف باحثو وعلماء نظريات العلاقات الدولية على مختلف مدارسهم ومشاربهم الفكرية، في تحديد مفهوم واضح لمصطلح الهيمنة، وتشابكت التحليلات بين مفاهيم القيادة العالمية والسيطرة العالمية ومفهوم الهيمنة، لكنهم في الوقت نفسه، اجمعو على ان الهيمنة ببعدها الفضفاض تشير الى تفوق دولة عظمى بصورة منفردة على جميع الدول الاخرى، بحيث يسمح لها هذا التفوق المادي بكافة مستوياته (العسكرية، الاقتصادية، التكنولوجية...) بوضع المعايير والقواعد الدولية لمنع ظهور قوة أو تكتل قوى قادر على مواجهتها. وهذا السلوك هو صفة ملازمة للسياسة الامريكية على المسرح الدولي منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945، وبدا أكثر وضوحاً بعد انهيار الاتحاد السوفييتي عام 1991. وتذهب Sandra Destradi في دراستها (ص: 912،913) الى توصيف اكثر دقة لمفهوم الهيمنة وتعتبره شكل من أشكال القوة تُمارس من خلال استراتيجيات أكثر دقة

وتعقيداً من تلك التي تستخدمها الدول التي تتصرف كقوى إمبراطورية. وتضيف، يمكن أن تختلف الوسائل التي تمارس من خلالها السلطة – وهنا سيتضح التمييز بين الهيمنة والإمبراطورية – عن ممارسة الضغط لتوفير الحوافز المادية، وصولاً إلى الانتشار الاستطرادي لمعايير وقيم المهيمن. إن نهاية سلوك الهيمنة – هي النقطة التي تمثل التكافل بين الهيمنة والقيادة – هي دائمًا تحقيق أهداف الهيمنة الخاصة بما فيها استخدام القوة العسكرية. بعبارة اخرى، ان الولايات المتحدة تحولت من دولة قائد مهيمن متعاون الى سياسة فرض الهيمنة بصورة جشعة دون مراعاة مصالح الاخرين.

من ناحية اخرى، يستحضر كل من Goda Dirzauskaite وزميله Nicol Cristinel Ilinca في كتابهم "فهم الهيمنة في نظريات العلاقات الدولية 2017"، اساس هذا المفهوم، ومرده المدارس الفكرية الكلاسيكية في العلاقات الدولية، التي لها سمة مشتركة عند تصور الهيمنة – وهي تتفق على أن الهيمنة تمارس درجة معينة من القوة أو النفوذ بين الدول الأخرى، لكنها تستبعد دائمًا سيطرة الهيمنة المباشرة على الدول الأخرى، مثل الاستعمار المباشر. بينما يرى Ben Rosamond شكلاً آخر من اشكال الهيمنة، كاختصار لوصف المركز المهيمن نسبيًا لمجموعة او طبقة او دولة تمارس نشر الافكار المرتبط بها حتى تصبح بديهية ومقبولة، وتقمع بالمقابل نشر الأفكار البديلة أو حتى التعبير عنها.

إعادة صياغة القوانين الدولية ضمن مفهوم الهيمنة

مع انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945، سعت الولايات المتحدة الى اعادة صياغة قوانين العلاقات الدولية عبر العالم وتأسيس منظماته بما فيها الامم المتحدة ومجلس الامن الدولي ضمن معايير سياسية ليبرالية جديدة، هدفها حماية مصالح واشنطن والقتال من اجلها، وعملت على نشر وأستخدام مصطلح "النظام الدولي" الذي كثر استخدامه في اوساط وسائل الاعلام والاكاديميين والباحثين. لاحقاً، وقبيل انهيار الاتحاد السوفييتي في 26 ديسمبر 1991، تم تطوير هذا المصطلح ليصبح " النظام العالمي الجديد". New World Order وظهر هذا المصطلح لأول مرة خلال خطاب ألقاه الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الأب في مجلس النواب الأمريكي في 6 اذار/مارس 1991 الذي اعلن من خلاله بداية النظام العالمي الجديد، وقد تعمد إستخدام كلمة Order بدلاً من كلمة System (نظام أو شبكة او منظومة...)، وذلك لأن إصطلاح Order يأخذ طابع القوة والاكراه والأمر اكثر من مصطلح System.

مُبكراً، اقترن مصطلح النظام العالمي الجديد أو ما بات يعرف لاحقاً بالعولمة، بمفهوم الهيمنة الامريكية The Hegemony والاحادية القطبية Uni-polarity المقترن بالقوة العسكرية والاقتصادية والسياسية والاعلامية للامبراطورية الامريكية الجديدة، وان قوة النخبة الغامضة تتآمر لتشكيل النظام العالمي الجديد بالقوة خدمةً لمصالحها، وفقاً لموقع Institute for Strategic Dialogue ISD، يرى انصار نظرية المؤامرة، أن هذا يحدث من خلال مؤامرة كبيرة مستمرة للتأثير على وسائل الإعلام والصحافة والمجتمع المدني والديمقراطية من الظل. ويُحملون النظام العالمي الجديد المسؤولية الكاملة للعديد من الأحداث والأزمات العالمية الكبرى عبر العالم. وما يعزز هذا الايمان الراسخ، ان الرئيس بوش دشن اعلانه بالنظام العالمي الجديد بعدوان عسكري على العراق، وتفاخر في خطابه اما الكونجرس انه ورفاقه الامريكيين قد اجتازو الاختبار الاول لهذا النظام بنجاح.

يقول Hua Hsu في صحيفة New York من العام 2013، أن النظام العالمي الجديد ليس قطعةً واحدة بقدر ما هو وسيلة لقراءة التاريخ. في أبسط مستوياتها: تسعى العصابة، التي تعمل في الخفاء ومن خلال الوسائل التي تبدو رسمية فوق الأرض، إلى إقامة حكومة عالمية واحدة قوية، وربما حكومة لوسيفيرية (مؤمن وملحد). في قصة شبيهة بأسلوب لعبة Mad Libs / اختيار الكلمات المناسبة، وكيف بدأ الناس الأحرار في الغرب في تسليم أنفسهم بطريقة عمياء إلى حكام شموليين قادمين. دون رؤية واضحة تمامًا – فالقلق يميل إلى أن يكون أكثر حول الجزء المتعلق بمصطلح "الجديد" أكثر منه في الجزء المتعلق بـ "النظام". منذ الهجمات في 11 أيلول سبتمبر، قررت الولايات المتحدة المضي قدماً بمفردها. نذهب منفردين ونرحب بالآخرين إذا رغبوا في الانضمام الينا. مع غياب كامل للقانون الدولي، شرعت أمريكا بقصف أفغانستان، ومع إحتلال العراق اتسعت رقعة الاستياء العالمية، وبات ينظر الى هذه السياسات بالإجماع تقريبًا على أنها غير قانونية. بينما أظهر الغرب اندفاعاً للتبشير بمزايا إنتشار الديموقراطية.

انكشاف هشاشة النظام العالمي الجديد

مع انتشار جائحة كورونا COVID19 عام 2020، بدأت تتكشف هشاشة النظام العالمي الجديد ومؤسساته، وكشفت عن ضعف في آداء المنظمات الطبية المحلية والعابرة، التي بشرت أمريكا ببنائها وفقاً لرؤيتها الجديدة للعالم. وإزاء غزو الفيروس لجميع دول العالم وتحوله لوباء وانتشار

آلاف الجثث في الشوارع، تخلت امريكا عن مسؤولياتها العالمية، ولحق الاعياء على نظامها ومؤسساتها الطبية نفسها. يقول هنري كسينجر، في مقال له بصحيفة وول ستريت جورنال، أن جائحة كورونا ستغيّر النظام العالمي للأبد. في الواقع، ساعد فيروس كورونا في إحداث اضطرابات في النظام العالمي الجديد وانتقل بمستويات تاثيره من نطاق الاختصاص الطبي الى مدارات المناكفات السياسية، المتمثل في سياسة ايجاد كبش فداء من قبل قادة الغرب، للتشهير والتحريض على المواجهة وتحميل المسؤولية، وتم إطلاق اسم جديد على الفيروس من قبل الرئيس الامريكي السابق ترامب هو "فيروس الصين" بدل كوفيد19، وتصدرت مدينة ووهان الصينية المشهد الإعلامي كمصدر لهذا الفيروس. وفي مواجهة هذا الوضع الدولي الفوضوي، كانت الصين الى جانب روسيا قادرة على الاستفادة من المزايا، وتجنب النزاع والمضي قدمًا على الرغم من الاتهامات والتقلبات، نحو إلتزاماً عالمياً مشتركاً لمكافحة الجائحة، وتم إمداد الاسواق العالمية بملايين اللقاحات شبه المجانية خاصة للدول الفقيرة، الامر الذي اوجد مكانة جديدة للصين وروسيا في مناطق نفوذ واشنطن عبر العالم، والتي تمسكت شركاتها بنظام الدفع المسبق بالدولار قبل توريد شحنات المصل المضاد للفيروس الفائض عن حاجة مواطنيها.

تركت جائحة COVID19 بإعتبارها أزمة كفاح للجنس البشري متعلقة بإستمرار وجوده من عدمه، تأثيرات كبيرة على طبيعة النظام السائد في العلاقات الدولية ودرجة الثقة المرتبطة بالنظام العالمي الجديد، وأنتجت شكلاً جديداً من إعادة تموضع في التحالفات الدولية والمحاور السياسية والاقتصادية...الخ. عملياً، تكشف الغضب من النظام العالمي بوضوح مع انطلاق العملية العسكرية الروسية في اوكرانيا فجر 24 فبراير 2022. بدا أن النظام العالمي الجديد الذي صاغته الولايات المتحدة لعقود يفقد خيوط الهيمنة المعتادة في التعامل مع باقي دول العالم، ومع فشل إحكام فرض العقوبات الاقتصادية الغربية على موسكو، وارتداداته الداخلية السلبية التي اغرقت الاقتصاد الامريكي الى جانب اقتصادات دول الغرب مع إرتفاع مؤشرات التضخم الى رقمين، والانجازات التي حققها الجيش الروسي على الارض، الى جانب الزحف التدريجي لدول الاغلبية العالمية نحو روسيا والصين، بدأت مقاعد رؤساء الحكومات الغربية تهتز وتتساقط عن المرتفعات.

تراجع الهيمنة الغربية

مع إصرار بوتين على إنفاذ جميع اهداف العملية العسكرية الروسية التي انطلقت بتاريخ 24 فبراير في اوكرانيا لحفظ الامن القومي الروسي، وإنحسار مراهنات الادارة الامريكية على وجود أي مؤشر على معارضة داخلية فعالة قد تطيح بالرئيس بوتين. بل على العكس من ذلك، وثقة الاحداث جُملة من الحقائق يمكن رصدها بالعين المجردة. اولاً: على الصعيد الداخل، إرتفعت معدلات ثقة الامة الروسية بالرئيس بوتين وسياساته وفقاً لاستطلاعات الرأي، مع زيادة قياسية في وحدة الموقف الداخلي ظهر في قدرة القيادة الروسية على حشد قرابة 300 الف عسكري مع اصدار مرسوم التعبئة الجزئية، الى جانب العمليات العسكرية الجارية على الارض، شنت الدبلوماسية الروسية هجوماً موازياً قاده الروسي المخضرم سيرجي لافروف، لشرح مواقف روسيا واهدافها من العملية العسكرية. ثانياً: إقليمياً، تعزيز التعاون الامني والشراكة المتأصلة بين جمهوريات رابطة الدول المستقلة، والتي تضم احد عشر دولة محيطة بروسيا الاتحادية. ثالثاً: التحالفات الدولية، بما فيها منظمة شنجهاي للتعاون وتحالف بريكس الذي يضم كل من (الصين، الهند، البرازيل، جنوب افريقيا بالاضافة الى روسيا) الذي اصبح بمثابة مشروع تجمع لقطب عالمي جديد، تجمعه رفض الهيمنة الامريكية على العالم، وتتطلع عدد من دول العالم للانضمام اليه بما فيها، جمهورية مصر العربية، المملكة العربية السعودية، اندونيسا... وفي سياق ذي صلة، مع اكتفاء صقور الحرب الامريكية بتغذية كييف بالسلاح من خارج السياج، بعيداً عن المواجهة العسكرية المباشرة مع روسيا. هذه الحقائق وغيرها مُجتمعةً، أدت الى مزيد من إتساع الفجوة في المواقف الدولية، بما فيها المواقف بين واشنطن وبروكسل نفسها، وطرحت عدد من التساؤلات حول، مدى قدرة واشنطن على استمرار ضبط الحرب وتنفيذ حقيقي للعقوبات على موارد الطاقة الروسية، مع حلول موسم الجنرال الابيض على اوروبا، التي تعاني اضطرابات في سلاسل توريد الطاقة، لمنع انهيارها من الداخل.

شقوق في قلب المحور

يبدو ان التصدع في مواقف الحلفاء وتضارب المصالح البينية، والثنائية وجد طريقه الى قلب المحور. من ناحية، بدأت الاصوات من الداخل الامريكي الرافضة لسياسة الدعم اللامحدود لاوكرانيا التي تنتهجها إدارة بايدن تُسمع على منصات الكونجرس، بعد فوز الجمهوريون بالاغلبية في مجلس النواب. بدايةً، بالتهديد بعدم تمرير ميزانية الدفاع، فقد نشر موقع Politico وفقاً للوثائق الداخلية

التي حصل عليها، فإنه إذا أُجبر الجيش الامريكي على العمل بموجب فاتورة تمويل مؤقتة مدتها عام واحد، فإن البنتاغون سيفقد 29 مليار دولار من موازنته. وفي هذه الحالة، سيتعين عليه قطع التمويل عن البرامج المختلفة بما فيها تمويل الحرب في أوكرانيا. وعلى الرغم من بدء تعالي الاصوات الداعية لوقف الدعم اللامحدود للحرب، إلا ان الصقور الراعين للحرب دون تفكير بالعواقب ما زال اصواتهم مسموعة، في هذا السياق، حذر تقرير The American Conservative بتاريخ 24Nov 2022، من اسماهم "حزب الحرب الامريكي" من خطورة الانزلاق نحو مواجهة شاملة مع روسيا بما فيه استخدام الاسلحة النووية. ودعا الادارة الامريكية، الى التخلي عن شعارها الكاذب بأن «كل شيء متروك لكييف». لان واقع الامر ليس كذلك، بينما يقوم الأمريكيون بصب الأموال والأسلحة في أوكرانيا، يقول التقرير، فإن الجميع سيكون في خطر حال انتشار الصراع خارج حدوده. ويضيف التقرير، إن موقف زيلينسكي مفهوم بالطبع، إنه يهتم بأوكرانيا، وليس بالولايات المتحدة، وسيكون سعيدًا لمحاربة روسيا حتى آخر أمريكي إذا لزم الأمر. بينما يلقي الوضع الاقتصادي المتدهور بثقله على كاهل المواطن الامريكي الذي تنشغل إدارته بتمويل الحرب، وقع الرئيس بايدن على قانوناً قسرياً يمنع بموجبه عمال السكك الحديدية في الولايات المتحدة من الاضراب للمطالبة بحقوقهم.

ضمن الجدل الدائر صعوداً ونزولاً بين الحلفاء، طفا الجدل هذه المرة على مستوى القادة، جاءت زيارة الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون – الذي سبق وان تلقى صفعة من واشنطن في صفقة الغواصات الاسترالية الفرنسية الامريكية، ولقائه بالرئيس بايدن في سياق التركيز على إحتجاج الاوروبيون الشديد على السياسات الاقتصادية الامريكية الجديدة، تحديداً تلك المتعلقة باعتماد قانون الحد من التضخم والاعفاءات الضريبية وإعتماد برنامج داعم لاستثمار الشركات المحلية الامريكية لاغراض المنافسة العالمية، متخوفاً من خطر أن تصبح أوروبا عموماً وفرنسا تحديداً ضحية للتنافس التجاري الراهن بين واشنطن وبكين، وبالتالي تفتيت وحدة الغرب. وعاد ليتحدث من جديد عن ضرورة منح روسيا الضمانات الامنية التي طالبت بها موسكو قبل اندلاع الازمة. وفي سياق اتساع الفجوة في المواقف بين الحلفاء، اوردت صحيفة Bloomberg في تقريرها بتاريخ 2 ديسمبر أن المفوض الكبير الداخلي في الاتحاد الأوروبي تييري بريتون Thierry Breton اقدم على الانسحاب من اجتماع

رئيسي مع المسؤولين الأمريكيين، قائلاً إن القمة تخصص القليل من الوقت لمعالجة مخاوف قادة الاتحاد الأوروبي بشأن قانون المناخ والضرائب الأمريكي الجديد.

من جهة اخرى، وفي إطار الخلافات البينية، نشر موقع The Modern diplomacy بتاريخ 18 اكتوبر تقريراً، رصد فيه اتساع الشقوق داخل التحالف الغربي نفسه، وأن الاتحاد الأوروبي اصبح منهكًا ماليًا بسبب الصراع الذي طال أمده في أوكرانيا، بينما تجلس واشنطن على حافة النهر المتدفق بتجهيزات الموت، تراقب وتدفع بالدفة، وتحقق أرباحًا ضخمة، من صفقات بيع السلاح لترميم اقتصادها من خلال الدفع باستمرار الحرب، ويضيف التقرير، بالتأكيد ليست المرة الأولى التي تخدع فيها واشنطن المجتمع الدولي لدخول حرب. فلا احد ينسى كولين باول الذي أرسلته واشنطن، محملاً بحقيبة من المعلومات الاستخبارية المزيفة، إلى مجلس الأمن الدولي لتبرير غزو العراق. ضمن هذا السياق، وردت تصريحات مسؤولين كبار في الاتحاد الأوروبي، وزير المالية الفرنسي برونو لو مير ووزير الاقتصاد الألماني روبرت هابيك، بأن واشنطن تبالغ في رفع أسعار الغاز الطبيعي المسال الى اوروبا، وتستخدم الحرب في أوكرانيا وأزمة الطاقة لجني مزيداً من الأرباح وجعل أوروبا تعتمد على غازها. وصرح لو مير أن الصراع في أوكرانيا يجب ألا يؤدي إلى الهيمنة الاقتصادية للولايات المتحدة على أوروبا الضعيفة. وهو نفس الموقف الذي اتخذه نظيره الالماني هابيك. وفي موضع ذي صلة، وردت تصريحات عضو البرلمان الفرنسي Nicolas Dupont-Aignan لقناة اوروبا 1 التلفزيونية إن على الاتحاد الأوروبي التوقف عن إمداد أوكرانيا بالأسلحة، ورفع العقوبات المفروضة على روسيا، لان هذا الصراع يدفعنا سريعاً نحو الانتحار الاجتماعي والاقتصادي.

وفقاً لتحليل موقع الجزيرة لبيانات وكالة الطاقة الدولية، في عام 2021 استورد الاتحاد الأوروبي ما يزيد على 380 مليون متر مكعب في اليوم من الغاز الروسي، عبر مختلف خطوط الأنابيب، وهو ما يمثل نحو 140 مليار متر مكعب للعام بأكمله، ومثلت ورادات الغاز الروسي 45% من مجموع واردات أوروبا من الغاز، في المقابل دفعت أوروبا نحو 440 مليار دولار لروسيا مقابل الغاز. في السياق، كتب سيرغي مانوكوف، في "إكسبرت رو" بالرغم من حديث الاوروبيين عن رفض الغاز الروسي، إلا أنه يتدفق كما النهر بكامل طاقته. ففي الفترة من يناير إلى أكتوبر من هذا العام، لم تنخفض واردات الدول الأوروبية من الغاز الطبيعي المسال من روسيا، بل زادت بأكثر من 40٪،

مقارنة بالفترة نفسها من العام 2021. في الواقع، لا تستطيع اوروبا خاصة المانيا فرض مقاطعة شاملة على الواردات الروسية، فالروابط التجارية والاقتصادية التي تربط بين روسيا ودول الاتحاد الاوربي اعمق بكثير منها بين واشنطن وموسكو، على سبيل المثال تنشط 6000 شركة ألمانية على الارض الروسية، كما قدرت الوظائف المرتبطة بعلاقات ألمانيا مع روسيا اقتصادياً بنحو 400 ألف وظيفة. وبالتالي فإن الاقتصادين الاوربيين الكبيرين (فرنسا والمانيا) هي من اكثر الاقتصادات تضرراً بفعل العقوبات الامريكية على روسيا. وفقاً لبيان موقع إتحاد المصارف العربية.

بينما يتواصل رصد مؤشر نابض الاستياء القادم عبر الاطلسي بإستمرار، فقد نشرت صحيفة The Guardian البريطانية بتاريخ 2 يونيو حزيران 2022، تقريراً يتهم فيه Patrick Wintour، ألمانيا صراحةً بتمويل حرب روسيا. يقول، في الشهرين الأولين بعد بدء "الهجوم الروسي" على أوكرانيا، تشير التقديرات إلى أن ألمانيا دفعت ما يقرب من 8.3 مليار يورو مقابل الطاقة الروسية – هذه الأموال تستخدمها موسكو لدعم عملتها وصناعة القذائف التي تطلق على المواقع الأوكرانية. في السياق، غرد المؤرخ والاستاذ الجامعي الامريكي تيموثي سنايدر منتقداً المانيا «على مدى ثلاثين عامًا، ألقى الألمان محاضرات على الأوكرانيين حول النازية». و"عندما وصلت النازية بالفعل، مولها الألمان، ومات الأوكرانيون وهم يقاتلونها". ويتهم Wintour رئيس الدولة الالماني شتاينماير بأنه مروج نشيط لمد الجسور بين الغرب وموسكو، وانه بطريقة أو بأخرى، لا تزال هناك حاجة إلى الحساب. بينما اكتفت بولاندا بلجنة تحقيق في الصواريخ الاوكرانية التي سقطت على اراضيها دون اعلان النتائج، فتح ياروسلاف كاتشينسكي، زعيم حزب القانون والعدالة المحافظ الحاكم في بولندا، النار على ما أسماه «الهيمنة» الألمانية في أوروبا، قائلاً إن برلين تريد اليوم استخدام أساليب سلمية لتنفيذ الخطط التي حاولت تنفيذها بالوسائل العسكرية سابقاً. وقال إن هذا طريق يؤدي إلى أزمة وكارثة – لا تؤثر فقط على بولندا ولكن على كل أوروبا باكملها. وفي هذا السياق من عدم الثقة، ارسلت بولندا مذكرة دبلوماسية إلى جميع دول الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي ومجلس أوروبا بشأن مطالبتها بتعويضات حرب تصل إلى 1.3 تريليون دولار من ألمانيا، حيث تسعى إلى بناء وعي دولي ودعم جهودها للحصول على تعويضات. بينما ترتفع وتيرة النقد في جميع وسائل الإعلام البولندية تقريبًا بالنقد الشديد للقرار الألماني بإغلاق محطات الطاقة النووية. في وقت أزمة

طاقة كبيرة تعاني منها اوروبا الان، وجعل اوروبا رهينة لمصادر الطاقة الروسية. وسط انتقادات جديدة لموقف برلين حول امتناعها عن تزويد اوكرانيا بنظام الباتريوت الصاروخي.

وهنا تثير Shairee Malhotra زميلة الابحاث في مؤسسة المراقب Observer Research Foundation والمختصة في العلاقات الاوروبية الداخلية، ازمة اخرى مع ايطاليا، وتتسائل، هل ستكون روما بمثابة كعب أخيل " نقطة قوة مميتة" لوحدة اوروبا في الرد على روسيا بعد وصول الحزب الفاشي الايطالي "إخوان ايطاليا" بقيادة جورجيا ميلوني الى السلطة وتضيف، بالفعل، لا تزال إيطاليا واحدة من أكثر الدول الموالية لروسيا في أوروبا، مع علاقات اقتصادية وثقافية قوية بين الاثنين. وتضيف، يعود هذا الشعور الموالي لروسيا إلى أيام الحرب الباردة عندما كان أكبر حزب شيوعي في أوروبا الغربية في إيطاليا. وكانت القنبلة التي القاها اعضاء البرلمان الاوروبي Clare Daly & Mick Wallace من ايرلندا، قد سمع صداها في كل انحاء العالم، وتحدثت Daly بوضوح عن سبب امتناعها عن التصويت داخل البرلمان الاوروبي بشأن الاعتراف بروسيا كدولة "راعية للارهاب،" تقول دالي، قبل بضعة اسابيع مرت الذكرى الحادية عشر لاغتصاب القذافي بحربة، ونتذكر جيدا تدخل الناتو في ليبيا بذريعة حماية الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، والآن يخوض الناتو حربه بالوكالة في أوكرانيا، بإسم نعم، أنتم فكرتم بشكل صحيح، الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان. لأن هذا هو ما يحدث بعد تدخل الناتو في شؤون بلدكم بهذه الذريعة! الإرهاب، الموت، الفوضى، الاغتصاب، الفقر، الجوع".

وفي سياق البحث عن شريان الحياة، التقى المستشار الالماني اولاف شولتز في بكين بالرئيس الصيني شي جين بينج باحثاً عن طوق نجاة لاقتصاد بلاده المتدهور، على قاعدة تطوير التعاون الاقتصادي مع الصين وجلب الاستثمارات الصينية، بغض النظر عن نقاط الخلاف بين الطرفين. مما أثار حفيظة حلفائه في الغرب وخاصة فرنسا والتي ترى ان المستشار يتصرف منفرداً بعيداً عن السرب. بينما كشف مشهد لقاء الرئيس الامريكي بايدن بالرئيس الصيني شي جين بينج في قمة العشرين G20 للاقتصاديات الكبرى المنعقدة يومي 15-16 نوفمبر في اندونسيا- جزيرة بالي، بحقيقة شعور الرئيس بايدن بالاجواء الساخنه المحيطه به، وضرورة تبريد هذا المناخ الملتهب على الاقل مع جبهة بكين الآخذة بالتدهور، وسط إنقسام حاد في مواقف الدول المشاركة في القمة، مما شكل إنتكاسة شديدة للدعوات الامريكية المطالبة بإقصاء روسيا من عضوية الكبار وإدانتها.

على مستوى الدعم العسكري، وبالعودة الى الوراء قليلاً، رفضت دول وازنه في حلف الناتو بما فيها كل من فرنسا، المانيا، المجر، بولاندا وتركيا، مُبكراً فكرة فرض منطقة حظر جوي فوق أوكرانيا، كان قد تحدث بها علانيةً اعضاء ديموقراطيون من الكونجرس الامريكي، لان من شأن ذلك من وجهة نظر قادة هذه الدول التورط في مواجهة عسكرية مباشرة مع روسيا، كما رفضت جورجيا على لسان عضو برلمانها ماموكا مديناراذزي تقديم اية مساعدات عسكرية لكييف، وعلى نفس المنوال، رفضت المجر فكرة طرحتها بولاندا لإرسال قوات حفظ سلام أو تقديم أي نوع من المساعدات العسكرية لاوكرانيا. وعلى المنوال امتنعت باريس وبرلين، عن إرسال شحنات أسلحة نوعية بعيدة المدى قادرة على الوصول الى الاراضي الروسية، خوفاً من خطورة التصعيد المباشر مع موسكو، وما زال قادة كلا البلدين تحتفظان بقنوات إتصال دبلوماسية مع روسيا بحثاً عن مخرج تفاوضي ينهي الازمة. كما امتنعت بولاندا أيضاً عن تسليم سرب من طائراتها نوع "ميج 29" من الحقبة السوفييتية للجيش الاوكراني. وفي ظل استمرار المعارك والتقدم الروسي على الارض، إعترف امين عام حلف الناتو ستولتنبرغ بالقدرة العسكرية لموسكو وقال «القوات المسلحة الروسية تحتفظ بقدرات كبيرة فضلا عن عدد كبير من القوات». ونصح الغرب بعدم إرتكاب خطأ التقليل من قيمة روسيا. وفي احدث إشارات ببدء العد التنازلي للتخلي عن حليفتهم كييف، قال ستولتنبرغ: "من المهم أن تبقى أوكرانيا كدولة مستقلة في أوروبا.. إذا لم تظل أوكرانيا كدولة مستقلة وذات سيادة، فلن يكون هناك أي سؤال حول عضويتها في الناتو على الإطلاق ."

في الاطار، ظهرت اصوات اخرى من دول الصف الثاني والاحدث سناً في الكتلة الاوروبية، تتحفظ على السياسات الاوروبية وتنظر لمصالحها القومية والوطنية بعين الاولوية، بما فيها، هنجاريا، صربيا، النمسا، بلجيكا، بلغاريا، الدنمارك، فنلندا... فقد رفض رئيس الوزراء الهنجاري فيكتور اوربان الالتزام بفرض العقوبات على موسكو، واعتبر ان هذه السياسة بمثابة خطوة نحو إعلان الحرب، وان حل الصراع مع اوكرانيا لا يمكن ان يكون الا من خلال المفاوضات وليس بمثل هذه الخطوات. من ناحيته قال الرئيس الصربي، ألكسندر فوتشيتش، إنّ بلاده لن تفرض عقوبات على موسكو، وأضاف: "سنتصرف وفقاً لمصالح بلادنا. وهو ذات السياق الذي تحدث به وزير الخارجية النمساوي، ألكسندر شالنبرغ، "إنّ النمسا تعارض فرض أي عقوبات على الغاز الروسي". وأعلن شالنبرغ، في مقابلة مع قناة "أو أر أف" التلفزيونية، أنّ النمسا "ستقول لا، بصورة واضحة لمقترحات

فرض عقوبات على الغاز الروسي". من ناحيته، وعل الرغم من دعوة رئيس الوزراء البلجيكي، ألكسندر دي كرو، إنهاء الاعتماد على الوقود الأحفوري الروسي، إلا انه لم يصل إلى حد الدعوة إلى فرض حظر او مقاطعة على موارد الطاقة الروسية. بينما تلاشت اصوات اخرى كانت تدعو باستمرار اعضاء حلف الناتو للمبادرة بمهاجمة روسيا، منها على سبيل المثال. مالدوفا، جورجيا، ودول حوض البلطيق (لاتفيا ليتوانيا واستونيا). من ناحيته، قال الرئيس الفنلندي سولي نينيستو إن العلاقات المستقبلية مع روسيا يجب أن تستند إلى «موقف مهني» بعد أن أعلن، أن فنلندا تسعى للانضمام إلى الناتو. وصف نينيستو محادثته الهاتفية مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين يوم (14 مايو) بأنها «هادئة» داعياً الى مواصلة التعاون مع موسكو.

في الواقع، فإن فشل القادة الاوروبيون المؤثرون في إيجاد صيغة حل لهذه الازمة بعد مرور قرابة عشرة شهور من اندلاعها، وإستبعاد الحل الدبلوماسي للازمة حتى الان. أدى ذلك الى إشعال الاحتجاجات في الشارع الاوروبي، بدءًا من فرض العقوبات على موسكو، والتي أدت الى ارتفاع أسعار الكهرباء والتدفئة مع بدء درجات الحرارة في الانخفاض، وارتفاع تكاليف المعيشة والركود الذي بات يلوح في الأفق، مروراً بسياسات حُزم التمويل المالي واللوجستي لكييف. اجتاحت مدن عديدة في أوروبا موجة من الاحتجاجات بينما تتهيأ اخرى للتحرك على طول الممر. وهبط عشرات آلاف المتظاهرين إلى الشوارع في جميع أنحاء فرنسا، بلجيكا، جمهورية التشيك، ألمانيا، مولدوفا، ايطاليا، بلغاريا مطالبين حكوماتهم بسرعة رفع الحصار المفروض على روسيا، ,إتخاذ إجراءات وتدابير إقتصادية بما يشمل زيادة الأجور لتعويض التضخم، والمزيد من الدعم الحكومي للمواطنين، والتدخل الحكومي في سوق الطاقة والقطاعات الانتاجية الاخرى، وطالبت بعض الحشود بقف تزويد اوكرانيا بالسلاح. وتعدى الامر ذلك، مع خروج متظاهرون مؤيدون لروسيا في كل من صربيا، المجر والتشيك، داعين بلادهم الى عدم المشاركة في الهستيريا الغربية المعادية لموسكو والى ضرورة إنهاء العقوبات الغربية المفروضة عليها. وهاجم المتظاهرون في بلغاريا مبنى المفوضية الاوروبية، واحرقوا اعلام الناتو في ايطاليا. ضمن هذه الاجواء المتوترة، اورد استطلاع لمؤسسة "YouGov"، تم نشره بتاريخ 2 سيبتمبر 2022، أن نسبة الامتعاض الشعبي من الأوضاع الاقتصادية ترتفع بشكل متسارع في عدد من الدول الأوروبية. فقد حلت بولندا في رأس التصنيف كأكثر البلاد تهديداً باندلاع اضطرابات اجتماعية، حيث 75% من مواطنيها مستعدون للاحتجاج

ضد الأوضاع المعيشية، و63% مستعدون لخوض إضرابات. وحلت فرنسا في المرتبة الثانية بين دول الاتحاد، حيث يبدي 69% استعدادهم للتظاهر و65% للإضراب، ثم ألمانيا ثالثاً بـ 64% للتظاهر و44% للإضراب. ثم بريطانيا 57% للاضراب ومثلهم للتظاهر. وفي ترجمة فعلية لهذه النتائج على الارض، مع اقرب حلفاء امريكا واكثرها دعماً للحرب داخل الحلف الانجلوساكسوني، تكافح بريطانيا بالفعل مع الإضراب الصناعي في مجموعة من القطاعات، لكنها تواجه الآن إضرابات من قبل آلاف الممرضات في إنجلترا وعمال الإسعاف في إنجلترا وويلز الذين يخططون للانسحاب في وقت لاحق من هذا الشهر بسبب الأجور والظروف. الامر الذي نتج عنه مؤخراً فشل وزراء الاقتصاد والمالية في دول الاتحاد الاوروبي في الاتفاق على تمرير حزمة مساعدات مالية جديدة لاوكرانيا وفقاً لتصريحات وزير المالية التشيكي زبينيك ستانيورا.

بينما يستمر ستوتنلبيرغ –الامين العام لحلف الناتو، بصب الزيت على النار، وفاءًا لرعاة العولمة والقطبية الاحادية في واشنطن، ومتجاهلاً الاوضاع الاقتصادية الكارثية التي تهدد كينونة الاتحاد الاوروبي برمته، ليؤكد من جديد ان حلف الناتو اصبح جزءًا من المشكلة التي تعاني منها اوروبا والعالم وليس طرفاً في الحل. واصل زميله جوزيف بوريل – وزير خارجية الاتحاد الاوروبي، تصريحاته المستفزة لدول الاغلبية العالمية واصفاً اياهم بسكان "الغابة/ ادغال" الذين يزاحمون سكان "الحديقة" الديموقراطية الفريدة في اوروبا. وينسى بوريل وزملائه ان أوروبا أنشأت تلك الحديقة من خلال النهب البربري للغابة». وفقاً لتوصيف المتحدثة باسم الخارجية الروسية، ماريا زاخاروفا، التي قالت: «فلسفتهم في الفصل والتفوق أصبحت هي الفكرة الأساسية للفاشية والنازية، وكلتا الحربين العالميتين في القرن العشرين كانتا ناجمتين عن طموح ألمانيا لاستعادة العدالة وإعادة تقسيم مستعمرات أوروبا التي فشلت تلك الدولة في انتزاعها لنفسها».

المواقف والتصريحات المتغطرسة الواردة من الغرب الجماعي الباحث عن مصالحه فقط، بما فيها حالة انعدام الثقة في الشراكة مع الولايات المتحدة من بين امور اخرى، ادت الى توليد سلسلة لا متناهية من الدول في مختلف قارات العالم الباحثة عن مصالحها الوطنية، وبدات تتجرأ وبقوة على مخالفة اوامر واشنطن والخروج عن مداراتها التي رسمتها منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، وباتت المنصات الرسمية والشعبية لدول الاغلبية مصدراً للالهام في دعواتها نحو تأسيس نظام عالمي جديد أكثر عدلاً قائماً على تعدد الاقطاب أو الاطراف ويراعي مصالح بلادهم.

نحو عالم متعدد الاقطاب والاطراف

في لقائه مع السفير الروسي في بكين ايغور مورغولوف، اعلن وزير الخارجية الصيني وانغ يي، أن الصين وروسيا تعملان معاً على تعزيز عالم متعدد الأقطاب، وهما لا تعترفان بالهيمنة أحادية القطب، وتدعمان معا وبإصرار نظام العلاقات الدولية، التي تشكل الأمم المتحدة جوهرها، والنظام العالمي القائم على القانون الدولي، وهما لا تعترفان بسياسة القوة الغاشمة". وجاء في بيان المتحدث بإسم وزارة الخارجية الصينية، تشاو ليجيا أن الطائرات والسفن الحربية الأمريكية تظهر باستمرار في جميع أنحاء العالم لاستعراض الأسلحة، متسائلا: من الذي يقوض الأمن والاستقرار على الصعيدين الدولي والإقليمي في نهاية المطاف؟ وأجاب: "الحقيقة واضحة من الوهلة الأولى." في السياق، رفضت حكومة جمهورية الصين الشعبية واللجنة المركزية الحزب الشيوعي الصيني، الطلبات الامريكية المتكررة بإدانة ما تسميه واشنطن الغزو الروسي لاوكرانيا، الى جانب رفض الصين قطع علاقاتها بما فيها الاقتصادية مع موسكو. وفي نهج واضح لتحدي واشنطن، دشنت بكين مشاريع اقتصادية مشتركة بما فيها زيادة توريد الطاقة والغاز المسال من موسكو، مع احتفاظها بعقود التوريدات للطاقة من دول الكتلة الخليجية وغيرها من الدول الاعضاء في منظمة اوبك.

من جانبه، وفقًا لصحيفة Global Times، دعا وزير الدفاع الصيني وي فنغي إلى الإنصاف بدلاً من الهيمنة وحالة الانقسام العالميين، وطالب – خلال الاجتماع العالمي التاسع لوزراء دفاع الآسيان في كمبوديا، بحضور عدد من وزراء الدفاع للمنطقة بما فيهم وزير الدفاع الروسي، البلدان إلى ممارسة مبادرة الأمن العالمي والعمل معا لبناء حاجز قوي للأمن العالمي. مشدداً على أن نمو الجيش الصيني وقوته سيكونان دائمًا لصالح السلام والاستقرار العالمي، وتعقيباً على هذا البيان، قال لي هايدونغ، الأستاذ في معهد العلاقات الدولية بجامعة الشؤون الخارجية الصينية، لصحيفة Global Times، إن واشنطن تحاول زرع اضطرابات مماثلة في آسيا بعد إشعال الصراع الروسي الأوكراني من خلال التوسع الشرقي لحلف الناتو وتأجيج التوترات بين روسيا والغرب.

كوريا الشمالية، او ما بات يعرف اعلامياً (الابن المدلل لموسكو وبكين)، يواصل رئيسها كيم جون اون سياساته في تحدي واشنطن بإطلاقات لا منتهية لسلالات من الصواريخ بمختلف انواعها ومداياتها بإتجاه بحر اليابان، بحر الشرق، بحر الصين ومناطق اخرى من المحيط الهادئ. والتي تصنفها واشنطن وفق استراتيجيتها 2022، مناطق مضطربة وتنشر فيها الاف الجنود والسفن

الحربية، استعداداً لمواجهة محتملة مع الصين في حال اقدام الاخيرة على استعادة تايوان بالقوة. ورغم التهديدات الامريكية بالتعامل الحازم مع القيادة الكورية الشمالية في حال استمرارها بهذا السلوك، اطلقت واشنطن نداءات تعبر عن جاهزيتها للتفاوض مع كوريا الشمالية دون شروط مسبقة. بينما كشف الرئيس الكوري الشمالي كيم جون اون عن خططته بأن تصبح بلاده اكبر قوة نووية في العالم خلال تكريمه لعشرات الضباط ممن ساهموا في الاطلاق الناجح لصاروخ باليستي جديد عابر للقارات.

بينما رفضت فانزويلا عروضات الوفد الامريكي برفع العقوبات المفروضة عليها منذ العام 2019، وتحديث البنية التحتية لحقول انتاج مصادر الطاقة بافضل انواع التكنولوجيا الحديثة، وإعادة ربط كاراكاس بنظام سويفت المالي العالمي، مقابل الموافقة على استئناف تزويد واشنطن بإمدادات الطاقة كبديل لموارد الطاقة الروسية. وأظهر الرئيس نيكولاس مادورو للوفد الامريكي تمسكه بالصداقة مع موسكو ورفض مقايضة مبادئه بحفنة من الطحين الامريكي. في السياق، رفضت طهران إعادة احياء إتفاقية العمل الشاملة المشتركة، بالصيغة الامريكية، بما فيها من امتيازات لاقتصادها المتدهور بفعل الحصار الامريكي، لقاء اقرارها والتزامها بالعقوبات المفروضة على حليفتها موسكو، رغم التهديدات الامريكية المتواصلة، بزعزعة الامن والاستقرار لنظام الحكم في طهران، والتي بلغت ذروتها منذ اسابيع في إثارة الرأي العام الداخلي ضد النظام الايراني، ودعم ثورة شعبية لاسقاطه.

في السياق، برز دور قيادي للمملكة العربية السعودية من خلال عدة قرارات ومواقف إستراتيجية اظهرت خروجها عن النسق التقليدي المواتي لامريكا، تمثل في امتناع الرياض عن زيادة إنتاج وضخ النفط وفقاً لرغبات الادارة الامريكية، الى جانب عدم إدانة ما تسميه امريكا "الغزو الروسي لاوكراني"، واتخذت الرياض الى جانب الدول الاعضاء في جامعة الدول العربية، موقفاً محايداً وداعماً لاحكام القانون الدولي مع ضرورة اخذ مخاوف روسيا المشروعة وحفظ امنها القومي بعين الاعتبار، كمسار وحيد لحل الصراع الروسي الاوكراني، الامر الذي اثار حفيظة واشنطن واعتبرته موقف متقارب مع المواقف روسيا. لاحقاً، إزداد الموقف تعقيداً من وجهة نظر واشنطن، بعد إقدام منظمة اوبك+ على إتخاذ قرار بخفض الانتاج النفطي بمقدار 2 مليون برميل يومياً، هذا القرار فسرته واشنطن بأنه ضربة سياسية واقتصادية، موجهة مباشرةً للادارة الديموقراطية الحالية العاجزة عن وقف التدهور في الاقتصاد الامريكي السائر نحو التضخم والركود. ومع تعالي الاصوات داخل

مركز صنع القرار في واشنطن بضرورة فرض عقوبات على السعودية رداً على قرارات اوبك+ بما فيها الاسراع في المصادقة على تشريع قانون نوبك NOPEC/ مكافحة الاحتكار، الا أن إدارة بايدن اختارت خفض التصعيد مع عملاق النفط العالمي، من خلال أعلانها أن المنصب الرفيع الذي يشغله ولي العهد السعودي يجب أن يحميه من الدعاوى القضائية لدوره المزعوم في مقتل مواطنه جمال خاشقجي.

بينما جاءت زيارة الرئيس الصيني شي جين بينج للمملكة العربية السعودية، مع ثلاثة قمم عالية المستوى، بما فيها القمة العربية–الصينية وأعلان الشراكة الاستراتيجية الصينية العربية الشاملة، وعنوانها فلسطين، بمثابة نقطة تحول تاريخية في مسار العلاقات العربية الصينية نحو عالم متعدد الاقطاب، بعيداً عن سياسات الكيل بمكيالين والمعايير الغربية المزدوجة من القضايا العربية. وتنسجم في إطار تعزيز الروابط التاريخية بين الامتين العربية والصينية نحو اخذ دورها القيادي والتحرري، على قاعدة المنفعة المتبادلة مع شريك اقتصادي وسياسي هام على الساحة الدولية بحجم جمهورية الصين الشعبية، وتؤسس لعلاقات مستقبلية قائمة على اسس صلبة من الثقة المتبادلة والممتده عبر ممرات طريق الحرير القديم قبل اكثر من الفي عام.

من جانبها، رفضت دول وازنة في العالم منها الجزائر، الهند، تركيا، البرازيل المكسيك، باكستان وجنوب افريقيا، الإذعان للمطالب الامريكية بإدانة ما اسمته "الغزو الروسي لاوكرانيا"، والامتثال للسياسات الامريكية الداعية بضرورة الالتزام بتطبيق العقوبات التي فرضتها واشنطن على موسكو، بما فيها مقاطعة سلاسل توريد الطاقة والحبوب. وكانت مواقف الهند الحليف الاقرب لامريكا مفاجئاً لساسة البيت الابيض، يقول السفير الهندي السابق في موسكو، ونائب وزير الخارجية كانوال سيبال، تسعى العقوبات الغربية على روسيا الى تحقيق هدف سياسي. ومع ذلك، تظل الحقيقة أن الهند كثفت مشترياتها من النفط من روسيا، لأن عقوبات النفط الغربية ليست غير قانونية فحسب لأنها أحادية الجانب ولم تتم الموافقة عليها من قبل الأمم المتحدة، بل وانتقائية أيضاً، كما أنها ضارة بالاقتصاد العالمي، وفي اوضح رسالة صادرة عن وزارة الخارجية الهندية، اكدت ان الهند على خلاف مع الدول الغربية عبر التاريخ، مشيرة الى ان على الغرب التعايش مع موقف الهند ازاء اوكرانيا كما هو.

وهو ذات الموقف الذي اعلنته باكستان واختيارها استمرار استيراد النفط والغاز الروسي، بينما تعزز تركيا العضو في حلف الناتو، علاقاتها بموسكو، نجحت في تثبيت اتفاقيات توريد الحبوب عبر موانئها، وحصلت على وعودات من الرئيس بوتين بتحويل انقرة الى مركز توزيع عالمي للطاقة مع بداية العام 2023. في السياق واصلت البرازيل احترامها للاتفاقيات الاخلاقية في نطاق مجموعة بريكس BRICS بريكس. من ناحيته، أكد الرئيس المكسيكي أندريس مانويل أوبرادور أن بلاده لا تعتزم فرض عقوبات على روسيا على خلفية عمليتها العسكرية الخاصة في اوكرانيا، وان المكسيك مستمرة في اقامة علاقاتها الطبيعية مع روسيا.

الى جانب عدد لا منتهي من الدول الباحثة عن انهاء حالة القطبية الاحادية، والمستاءة من سياسة النظام العالمي للعهد الامريكي، تصدرت كل من: سوريا، فلسطين، الجزائر، وعدد من الدول الافريقية، وامريكا اللاتينية ودول وسط وجنوب، وجنوب شرق اسيا. في هذا الاطار، تعرضت الجزائر التي وطدت علاقاتها مع موسكو، لانتقادات واسعة من قبل مجلس نواب البرلمان الاوروبي، بسبب شرائها السلاح الروسي متهمين اياها بالمساعدة في تمويل الحرب ضد اوكرانيا من خلال شراء هذا السلاح. وفي سياق النهج المتفرد، طالب 27 عضوا في الكونغرس الأمريكي في رسالة موجهة إلى وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن، بفرض عقوبات على الحكومة الجزائرية "بعد رصدهم توقيع موسكو والجزائر لصفقات تسلح"، والتي اعتبرها تَدخُلُ في إطار تمويل روسيا لمواصلة الحرب في أوكرانيا. من ناحية اخرى، أعاد الرئيس الفلسطيني محمود عباس خلال لقاءه بالرئيس فلاديمير بوتين في موسكو - على هامش قمة مؤتمر التفاعل وإجراءات بناء الثقة في آسيا (سيكا) المنعقدة في قازاخستان، التأكيد على عدم ثقته في واشنطن لحل الصراع مع إسرائيل وعبر في الوقت نفسه عن تقديره للموقف الروسي. بينما اعلنت روسيا وقوفها التام ومساندتها لجميع خطوات موسكو.

على المسرح السياسي الدولي، حيث جلسات الجمعية العامة للامم المتحدة، فَعّلت واشنطن جميع سياساتها والتي تتراوح بين الضغط والتهديد، لعزل روسيا ودفعها خارج المنظومة الدولية، الا ان النتائج التي كانت تظهر على شاشة إستفتاء الامم المتحدة خلال التصويت على القرارات الموجهة ضد موسكو، اظهرت مخالفة واضحة لرغبات واشنطن، وهنا نستذكر بعض المشاهد، على سبيل المثال، تظهر تطور وضعية التجرؤ على مخالفة تعليمات واشنطن. المشهد الاول: مع بداية العملية العسكرية الروسية، وفي ظل غياب حالة عدم اليقين من قبل عدد من الدول حول مدى جدية

الرئيس الروسي في مواصلة تغيير المشهد السياسي العالمي، بتاريخ 2 اذار/مارس صوتت 141 دولة لصالح قرار يدين "الغزو الروسي لاوكرانيا" مقابل 40 دولة عارضت او امتنعت عن التصويت من اصل 193. المشهد الثاني: بتاريخ 7 نيسان/ ابريل صوتت 93 دولة فقط مقابل 82 دولة امتنعت او عارضت تجميد عضوية روسيا في مجلس حقوق الانسان. المشهد الثالث: بتاريخ 14تشرين الثاني/نوفمبر، أيدت 94 دولة في الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا غير ملزم حول آلية تعويضات تدفعها روسيا لاوكرانيا، وعارض هذا القرار أو امتنع عنه 87 دولة. وقد كشف مشهد ظهور احد اعضاء الوفد الامريكي في قاعة الامم المتحدة، وهو يمسك سجل لتوثيق طبيعة تصويت الدول، وتناقلته وكالات الانباء حجم المأزق الذي يعانيه النظام العالمي الجديد.

وفي سياق متصل، حيث تظهر امريكا اكثر دولة تعاني من العزلة في اروقة الامم المتحدة، بتاريخ 02 كانون الاول/ ديسمبر 2021، تبنت الجمعية العامة قرارين لصالح فلسطين، أحدهما: يتعلق بضرورة تسوية القضية الفلسطينية بالوسائل السلمية، وصوتت 148 دولة لصالح القرار. وكان القرار الثاني: الذي تم مريره تحت عنوان" القدس"، وينص على بطلان إجراءات الاحتلال في تغيير الطابع العربي الاسلامي لمدينة القدس، ولاقى دعماً من 129 دولة، بينما عارضته أمريكا واسرائيل الى جانب حفنة من الدول التابعة اقل من اصابع اليد الواحدة هذا القرار. وتكرر هذا المشهد المخالف للرغبات الامريكية بتاريخ 11 نوفمبر 2022، عندما صوتت لجنة المسائل السياسية الخاصة وإنهاء الاستعمار (اللجنة الرابعة) للجمعية العامة للأمم المتحدة بالإجماع، على أربعة قرارات لصالح فلسطين، من ضمنها تمديد ولاية وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "الأونروا"، وعدم قانونية المستوطنات والممارسات الإسرائيلية في الأرض الفلسطينية المحتلة، بما فيها القدس الشرقية والجولان السوري المحتل، ووجدت القرارات تاييداً دولياً كاسحاً، تراوح بين 164 –150 دولة داعمة، بينما كاد الخط الاحمر الامريكي لا يكاد يظهر وسط الخطوط الخضراء التي دعمت القرار العادل. وكانت استجابت اللجنة الرابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة، بإصدار قرار يطلب من محكمة العدل الدولية أن تصدر "فتوى" (رأياً قانونياً) في مسألتين: أولاً، الآثار القانونية الناشئة عن انتهاك إسرائيل المستمرة بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، والثانية، عن احتلالها طويل الأمد للأراضي الفلسطينية المحتلة منذ عام 1967، واستيطانها وضمها لها، بما في ذلك التدابير الرامية إلى تغيير التكوين الديمغرافي لمدينة القدس وطابعها ووضعها. ووجد هذا القرار

طريقه نحو تأييد 98 دولة عضواً في الامم المتحدة. بمثابة صفعة للنظام الدولي الجديد، بعد ان عارضت امريكا مرةً اخرى اتفعيل القوانين الدولية التي تدعي حرصها الشديد على إنفاذها فقط بحق الدول المناهضة لسياساتها على الساحة الدولية.

وكان صدور البيان الختامي للقمة قد حمل لغة مشفرة محورها "اللجوء للقانون الدولي" لحل النزاع الروسي الاوكراني، وهي لغة فضفاضة يمكن تفسيرها صعوداً ونزولاً، بمثابة إنتكاسة جديدة للموقف الامريكي الداعي لتضمين البيان إدانة صريحة لروسيا. في السياق، ومن ناحية اخرى، كان مشهد عدم صدور بيان ختامي عقب اجتماع رابطة دول جنوب شرق آسيا "آسيان" دليلاً آخراً على اتساع الفجوة في المواقف بين الدول الاعضاء في هذه المنظمة التي ترفض ان يتم استخدامها كبيادق من قبل الدول الكبرى/ أمريكا لتتجنب التغيرات الجيوسياسية التي يمكن أن تطرأ عليها، وفقاً لتصريحات وانغ يي – وزير الخارجية الصيني.

في تقريرها بتاريخ 28 ديسمبر 2018، حذرت صحيفة The Economist من انتهاء عصر الهيمنة الامريكية، تقول الصحيفة، على عكس مواقف الولايات المتحدة التي تتخلى عن حلفائها، فإن روسيا هي الدولة الوحيدة التي تتمتع بعلاقات ودية مع جميع اللاعبين الإقليميين الرئيسيين، من بينهم إسرائيل وتركيا، والأهم من ذلك إيران. وعلى الرغم من أن روسيا وفرت القوة الجوية لـ «المحور الشيعي» في المنطقة، فقد تعاونت المملكة العربية السعودية مع روسيا لإدارة إنتاج النفط ورفع سعر النفط الخام. في الواقع فإن روسيا نجحت على تسويق نفسها كقوة لا غنى عنها في منطقة الشرق الاوسط. يقول السفير Chas W. Freeman وهو زميل اقدم في معهد واتسون للشؤون الدولية والعامة، أن مجالات النفوذ للدول العظمى هي شكل من اشكال الهيمنة، وان الولايات المتحدة تسمي أي نظام يخضع لنفوذها "عالم حر" سواء كانت ديموقراطية او لا. ويضيف، مع نهاية الحرب الباردة، قامت واشنطن بدمج معظم المجال السوفيتي السابق في منطقة نفوذها، ودفعت بمسؤوليتها المعلنة لإدارة كل شيء داخلها حتى حدود روسيا والصين. ويضيف، إن عدم رغبة روسيا في قبول هذا الامر، هو سبب جذري للأزمات في جورجيا وأوكرانيا. وإن عدم رغبة الصين في الإذعان للهيمنة الأمريكية الدائمة على بحارها القريبة هو أصل التوترات الحالية في بحر الصين الجنوبي. سياسة بسط النفوذ العالمي باتت متاصلة بالنفس الامريكية، حتى بات العالم يائس من الأمريكيين لقيادتهم من خلال وضع القواعد، وتنظيم المنافع العامة العالمية، ومراقبة المشاعات

العالمية، والقيام بدور «الأشرار» في كل مكان وبأي وسيلة يعتبرها رئيس أمريكا ملاءمة. ويقول، أوهام الهيمنة جعلت امريكا مصابة بشلل سياسي داخلي. وتُقدم الفترة التي سبقت الانتخابات الرئاسية لعام 2016، دليلاً مستمراً على أن الولايات المتحدة تعاني حاليًا من المكافئ السياسي للانهيار العصبي.

النقاش

الوضع في العالم ما زال متوتراً للغاية ويُنبئ بمزيد من التصعيد الخطير، مع محاولات دول الاقلية الغربية زعزعة الامن والاستقرار الدوليين بصورة ممنهجة، لضمان إستمرار هيمنتها، وفقاً لنظام واشنطن المتمركز حول مصالحها الذاتية. وفي ظل استمرار الدول الغربية وفي مقدمتها واشنطن ولندن تغذية نظام كييف، فإن احتمالية امتداد النزاع خارج الحدود ليشمل دول حلف الناتو اصبح أمراً وارداً، ومن الواضح ان هذا سيؤدي الى صدام عسكري مع دولة نووية، وبالتالي النتائج ستكون كارثية. الامر الذي حذر منه الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في خطابه الاخير حول الضربة النووية الاستباقية.

استمرار الحرب الروسية–الغربية على الارض الاوكرانية، ادت حتى الان، الى تشكل معسكرين غربيين متعارضين الى حد ما، أحدهما تقوده واشنطن ولندن، يلقي باللوم على روسيا في كل شيء بما فيه انخفاض درجات الحرارة في فصل الشتاء، ويتجاهل أن التوسع العدواني لحلف شمال الأطلسي شرقاً نحو روسيا هو السبب الرئيس لاندلاع الازمة. ومعسكر آخر، تتقدمه هنجاريا/المجر، صربيا، تركيا ويقترب منه موقف كل من النمسا وبلغاريا، يتراوح بين النأي بالنفس الى الضغط لايجاد مخرج دبلوماسي للازمة باسرع وقت ممكن، وإن كان بدرجات متفاوتة. بينما تتواجد كل من باريس، روما وبرلين وبعض الدول من الصف الثاني بما فيها رومانيا وبولاندا، بين مطرقة العقوبات الاقتصادية على روسيا، وسندان الاضطرابات الاقتصادية الداخلية.

الموقف العربي الرسمي المعلن من الحرب في اوكرانيا، كان وما زال موضع تقدير من قبل موسكو باعتباره موقفاً متوازناً، وكان الاعلان الوزاري في القاهرة واعلان القمة العربية في الجزائر تصب في هذا الاتجاه المتمركز حول ايجاد مخرج تفاوضي للازمة الاوكرانية قائمة على ضرورة اخذ هواجس موسكو الامنية بعين الاعتبار. وجاءت القمم الثلاث التي عقدت مؤخراً في الرياض وما نتج عنها

من اتفاقيات في مختلف المجالات والبيان الختامي للقمة العربية–الصينية، بمثابة تحول تاريخي في مسار العلاقات بين الحضارتين العربية والصينية، نحو الدفع بعالم متعدد الاطراف والاقطاب، يضع الامة العربية على المسار الصحيح نحو استعادة دورهم الريادي في العالم.

على قادة الغرب ان يتفهمو بأن تعميم مصطلحاتهم و"قيمهم" بما فيها، "الديموقراطية" و"حقوق الانسان"، "العالم الحر"، "تحرير المرأة"، "محور الخير الشر"، "الحديقة والغابة"، على شعوب ودول الاغلبية العالمية وفقاً لمعتقداتهم أمراً مرفوضاً. بالنظر الى ان التجارب العالمية والعربية خصوصاً مع الغرب اثبتت، أن الديموقراطية الغربية لا يمكن ان تنتشر بصواريخ كروز ولا بلغة المدافع، ولا يمكن على سبيل المثال، أن تصادق البرلمانات العربية إسوة ببريطانيا وامريكا على تشريعات أو قوانين تبيح ظاهرة المثلية الجنسية في المجتع العربي المحافظ، وهو ذات الامر الذي ترفضه عدد من دول العالم وفي مقدمتها، القيادة الروسية والصينية كذلك، فكل دولة ترى ان لها مطلق الحرية في اختيار النظام الذي تراه مناسباً للحكم وفقاً لقيمها ومعتقداتها، بعيداً عن صيغة الاملاءات الغربية.

إعادة تشكيل النظام العالمي الجديد على قواعد المنفعة المتبادلة وتقليل المخاطر، آخذة بالتشكل على الرغم من إصرار واشنطن على إنكار ذلك و/او قبولها بالامر الواقع. إذ تعلن كل من بكين وموسكو صراحةً أنهما في مسار إعادة صياغة الخارطة السياسية العالمية ولن تتوقفا على قبول تقديم الضمانات الامنية من واشنطن، سواء في اوكرانيا او تايوان، بل ستستمر جهودهما الحثيثة في اسقاط الولايات المتحدة عن المرتفعات العالمية، ضمن هذا الاصرار، تلوح في الافق امام دول الاغلبية العالمية وتلك التي التي تضررت بفعل السياسات الغربية، التقاط هذا الواقع القائم للدفع باتجاه تسريع ميلاد عالم متعدد الاقطاب او الاطراف.

الاستنتاجات

- تبدو الظروف مواتية امام الامة العربية لان تستعيد حضورها وتأثيرها على الساحة الدولية، في ظل إعادة ترسيم الخارطة الجيوسياسية العالمية الجارية، ويمكن البناء بموثوقية على وثيقة إعلان الشراكة الاستراتيجية الشاملة العربية–الصينية.
- المناخ السياسي العالمي مُهيأ امام دول الاغلبية العالمية للتحرر من الهيمنة الامريكية بالدفع نحو تشكيل نظام عالمي جديد متعدد الاقطاب.

- إمكانية بقاء اوروبا موحدة تتضائل بشكل مستمر مع إستمرار العملية العسكرية الروسية في اوكرانيا.
- في نهاية المطاف سيطلب حلف الناتو المُنهك إقتصادياً وعسكرياً، من حليفهم زيلينسكي الجلوس على طاولة المفاوضات، على قاعدة اتفاقية مينسك1 وملحقاتها مينسك2، ضمن إتفاقية جديدة قد تكون أنقرة1، على قاعدة الاعتراف بالاستفتاء الشعبي (إنضمام جمهوريات الدونباس ومقاطعة خيرسون وزباروجيا). وبغير ذلك فإن طرفي الصراع روسيا وأمريكا سيتجهان الى الحرب النووية الشاملة.